أجرى المقابلة: بلال ضاهر

مقابلة خاصة مع أستاذ الأدب العبري والفلسفة في الجامعة العبرية في القدس

البروفسور مناحيم برينكر: تقسيم القدس والتنازل عن حق العودة هما القضيتان الأساسيتان لحلّ الصراع!

"موقف اليسار الإسرائيلي من قضية اللاجئين الفلسطينيين مثل موقف اليمين الإسرائيلي"

(*) ازداد في الأعوام الأخيرة، بصورة تدريجية، حضور المتدينين اليهود، الذين يضعون قلنسوات على رؤوسهم، داخل المؤسستين السياسية والعسكرية في إسرائيل. ويبرز بوضوح حضور هؤلاء المتدينين في قيادة الجيش وفي مكاتب الوزراء ورئاسة الحكومة والكنيست، وخصوصا في العامين الأخيرين، في ظل ولاية رئيس حكومة اليمين، بنيامين نتنياهو. ولا يدور الحديث في هذا السياق على متدينين وحسب، وإنما أيضًا على متدينين من الذين يعتمرون "القلنسوات المطرزة"، أي أتباع التيار الديني – الصهيوني – القومي اليميني المتشدد من الناحية السياسية.

وصل في الأعوام الأخيرة ضباط متدينون إلى قيادة الجيش الإسرائيلي، أبرزهم نائب رئيس هيئة أركان الجيش، اللواء يائير نافيه. وحتى أنه تم طرح اسم نافيه كمرشح لتولي رئاسة هيئة الأركان، خلال العاصفة التي ثارت حول تعيين رئيس الأركان قبل عدة شهور، بعد إلغاء تعيين اللواء يوءاف غالانت وقبل تعيين اللواء بيني غانتس. كذلك يترأس النيابة العامة العسكرية ضابط متدين هو اللواء أفيحاي مندلبليت. إضافة إلى الحاخام الرئيس للجيش اللواء أفيحاي رونتسكي، الذي يتمتع بنفوذ كبير بين الجنود.

وتزايد حضور المتدينين من أصحاب "القلنسوات المطرزة" في ديوان رئيس الحكومة الإسرائيلية. وتفيد التقارير بأن نتنياهو عيّن ستة مستشارين في مكتبه من هؤلاء المتدينين المتشددين. وكان آخرهم وأبرزهم رئيس مجلس الأمن القومي، اللواء في الاحتياط يعقوب عميدرور.

ويأتي دخول المتدينين اليهود اليمينيين إلى مؤسسات الحكم في إسرائيل في فترة سياسية تتميز بجمود سياسي متمثل بتوقف المفاوضات الإسرائيلية – الفلسطينية وانقطاع المحادثات بين إسرائيل وسورية. وتتميز فترة ولاية نتنياهو بتصاعد حدة النزعات اليهودية

في السياسة الداخلية والخارجية لحكومته، مثل المطالبة بالاعتراف بيهودية إسرائيل، وسن قوانين عنصرية ضد العرب وما إلى ذلك.

وأجرت "قضايا إسرائيلية" حوارا حول هذه الموضوعات كلها وغيرها مع أستاذ الأدب العبري والفلسفة في الجامعة العبرية في القدس، البروفسور مناحيم برينكر، الحائز على "جائزة إسرائيل" التي تعتبر أرقى جائزة إسرائيلية.

وينتمي برينكر إلى مجموعة مؤسسي حركة "السلام الآن"، وهو أحد المثقفين اليساريين. وتبرز أهمية أقوال برينكر، خلال المقابلة، نظرًا إلى كونها تشرح مواقف اليسار الصهيوني حيال قضايا الصراع والديمقراطية، وكذلك موقفه من اليمين الإسرائيلي ومن الأقلية الفلسطينية في إسرائيل.

تفاعلات العامل الديمغرافي

(*) "قضايا إسرائيلية": ازدادت في الأعوام الأخيرة ظاهرة انخراط المتدينين اليهود، وخصوصا أتباع التيار الصهيوني الديني اليميني، في الحكومة والجيش في إسرائيل. كيف تفسر ذلك؟

برينكر: "بداية، توجد هنا قضية ديمغرافية، إذ يوجد لديهم أولاد أكثر من العلمانيين. ثانيا، يوجد الكثير جدا [من العلمانيين] ممن لديهم وجهة نظر أخرى ولا يريدون 'قلعة عسكرية' هنا. وهؤلاء يؤدون الخدمة العسكرية وبذلك انتهى الأمر بالنسبة لهم. وهم لا يريدون أن يكونوا في الجيش الإسرائيلي. وبالنسبة لهم هم يؤدون دورا كبيرا. فمنذ حرب الأيام الستة [حزيران ١٩٦٧] يوجد حرج كبير لدى إسرائيليين كثيرين. ويتمثل هذا الحرج في أنه عندما يذهبون إلى الخدمة العسكرية هم يتساءلون: هل يدافعون حقا عن الدولة أم عن المناطق التي احتلتها؟. وهكذا، فإن قسما من أبناء الشبيبة العلمانيين، الذي كان قبل ذلك يتجند للجيش الإسرائيلي، لم يستمر في التجند. والنتيجة الإحصائية هي ازدياد عدد المتدينين في الجيش مثلا".

(*) يكثر الحديث في إسرائيل عن "الخطر الديمغرافي"، ليس فقط تجاه العرب وإنما بين اليهود أيضا. وهناك تخوف بين العلمانيين اليهود من زيادة نسبة المتدينين اليهود.

برينكر: "لا أعتقد أن هذا التخوف ينطبق على الدولة كلها، وإنما هو تخوف تجاه أماكن معينة، مثل القدس. ويوجد تخوف من أن تتحول القدس إلى بْنِي بْراك كبرى [مدينة حريدية قرب

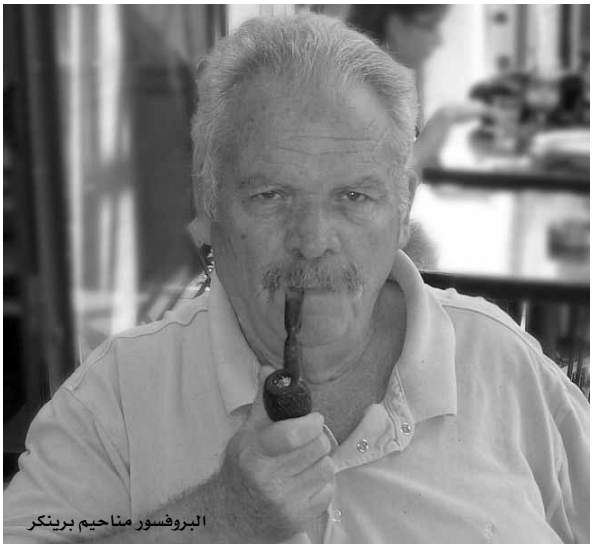
البروفسور مناحيم برينكر

تل أبيب]. وأن يصبح معظم اليهود في القدس من الحريديم وأن تكون هناك أقلية عربية كبيرة. والتركيبة السكانية للقدس، اليوم، مقسمة إلى ثلث يهود عصريين، وسنسميهم 'عصريين' رغم أن بعضهم يضعون قلنسوات على رؤوسهم، وثلث حريديم وثلث عرب. ويوجد خوف الآن من تكاثر عدد الحريديم بين السكان اليهود في القدس وذلك بسبب الهجرة السلبية لليهود العصريين. فهؤلاء يواجهون مشاكل مثل عدم العثور على مكان عمل، أو أماكن ترفيه في القدس. وعندها ينتقلون للسكن في تل أبيب. وعدد الأفراد الذين ينتقلون للسكن في القدس أقل من عدد الذين يغادرونها. وهذا لا يحدث لدى الحريديم. ربما يحدث أحيانا أن يتزوج طالب مدرسة دينية حريدية من عروس من بني براك، لكن في غالبية الحالات تحضر العروس للسكن في القدس، وليس العكس. ولذلك فإن التخوف من تكاثر العلمانيين، أو غير الحريديم، هو شأن محلي في القدس وبعض الأماكن الأخرى ولكنه لا ينعكس بشكل قطري. وينبغي أن أشير إلى أنه كلما ارتفع مستوى حياتهم فإنهم ينجبون أولادا أقل. الأمر الثاني هو أن الهجرة الروسية لإسرائيل كلها علمانية تقريبا. فقد جاء مليون يهودي من روسيا وجميعهم تقريبا من العلمانيين".

(*) وهل هذه الهجرة الروسية جعلت الوضع الديمغرافي متوازنًا بين العلمانيين والحريديم؟

برينكر: "أبقت الوضع جامدا. وسأعطيك مثالا يتعلق بالحريديم الأشكناز، ودعك الآن من حركة شاس [التي تمثل اليهود الشرقيين "السفارديم"]. أغودات يسرائيل حصلت على ستة مقاعد في الكنيست في انتخابات العام ١٩٤٨ ولديهم ستة مقاعد اليوم. والعائلة الحريدية الأشكنازية تنجب سبعة أو ثمانية أولاد. وهذا يعني أن ولدا أو اثنين هاجرا من البلاد، وأن واحدًا ربما يقاطع

من دون أن يفرض العالم تسوية فإن أفق التوصل إلى تسوية انسدّ. لأنه لا اليهود ولا الفلسطينيين يبدون على استعداد للتنازل حتى عن خطابيهما من أجل الاقتراب من الحل. اليهود لن يتنازلوا عن (المطالبة) بنهاية الصراع والعرب لن يتنازلوا عن حق العودة. وحتى لو توصلا إلى اتفاق على جميع القضايا الواقعية فإنه ستبقى هوة كبيرة بين خطابيهما تفصل بين الجانبين. ولا يمكن الجسر بين الخطابين.

الانتخابات، وواحدا أو اثنين آخرين أصبحا علمانيين أو متدينين تقليديين وليس حريديين. وأنا شخصيا أعرف الكثير من الحريديم، أو أبناء حريديم، الذين أصبحوا يهودا عاديين. وغالبا ما يثير تحوّل شخص علماني إلى حريدي ضجة في البلاد لكن عندما يتحول حريدي إلى علماني أو إلى متدين تقليدي أو محافظ فإنه هذا لا يلفت الانتباه تقريبا. لكن هذا يحدث طوال الوقت".

(*) منذ بداية ولاية رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، قبل عامين، وحتى اليوم عيّن ستة مستشارين على الأقل من أتباع التيار الصهيوني – الديني، وكان أبرزهم وآخرهم مستشار الأمن القومي يعقوب عميدرور. ماذا يعني أن يحيط نتنياهو نفسه بمثل هؤلاء المستشارين؟

برينكر: "هذا يعني أنه يجد نفسه قريبا من أفكارهم. لكن الأمر ليس مطلقا. عميدرور جاء محل عوزي أراد. وأراد هو علماني جدا. وأنا لا أعتقد أن تعيين مستشارين متدينين هو توجه تم التخطيط له. لكن نتنياهو يجد لغة مشتركة معهم، وهم جميعا قوميون متطرفون. ويوجد تعاون بين القوميين المتدينين والقوميين العلمانيين. في الماضي كان هناك علمانيون قوميون مثل رفول [أي رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق، رفائيل إيتان]، الذي كان ضد العرب ويمينيا وفي الوقت نفسه كان معاديا للدين. لكن الوضع اليوم في قيادة حزب الليكود على الأقل هو أنه يوجد توجه نحو التراث اليهودي. لذلك فإنه أسهل عليهم التحدث مع المتدينين".

(*) وهل يلتقي اليمين الذي يمثله زعيم حزب "إسرائيل بيتنا" ووزير الخارجية، أفيغدور ليبرمان، مع التيار الصهيوني – الديني؟

برينكر: "هما يلتقيان في بعض الحالات وفي بعضها الآخر لا يلتقيان. عندما يريد ليبرمان الاهتمام بمصالح ناخبيه الروس، فعندها هو يصطدم مع الموضوع الديني لأن هناك ٣٠٠ ألف من أصل مليون مهاجر جاؤوا من روسيا وهم ليسوا يهودا وفقا للشريعة اليهودية. وليبرمان يطالب بتسهيلات لهم، مثل إقرار قانون الزواج المدني، وعندها هو مضطر للتصادم مع المتدينين. لكنه في الناحية السياسية يجد لغة مشتركة معهم، رغم أنه في الواقع يجب أن لا يجد لغة مشتركة مع التيار الصهيوني – الديني، لأن ليبرمان ديماغوغي، ومن الصعب معرفة ما هو عقائدي وما هو فكر حقيقي لديه. فقد قال ليبرمان إنه يؤيد قيام دولة فلسطينية منذ عشرين عاما، على أن تضم الدولة الفلسطينية إليها جميع المناطق التي توجد فيها أغلبية عربية، مثل المثلث والجليل، مقابل ضم غوش عتصيون وأرض التوراة لإسرائيل. وقد كانت هذه فكرة لامعة جدا ولكن بشرط واحد وهو أن يوافق كلا الجانبين على ذلك. وما أريد قوله هو أن ليبرمان كان بين الأوائل في اليمين الإسرائيلي الذي تحدث عن تأييده لقيام دولة فلسطينية وأن قيام دولة فلسطينية هو أمر حتمي".

أفق التسوية مسدود!

(*) هل انسدّ أفق التوصل إلى تسوية بين الفلسطينيين وإسرائيل على ضوء الوضع السياسي القائم اليوم؟

برينكر: "باعتقادي نعم. من دون أن يفرض العالم تسوية فإن أفق التوصل إلى تسوية انسدّ. لأنه لا اليهود ولا الفلسطينيين يبدون على استعداد للتنازل حتى عن خطابيهما من أجل الاقتراب من الحل. اليهود لن يتنازلوا عن [المطالبة] بنهاية الصراع والعرب لن يتنازلوا عن حق العودة. وحتى لو توصلا إلى اتفاق على جميع القضايا الواقعية فإنه ستبقى هوة كبيرة بين خطابيهما تفصل بين الجانبين. ولا يمكن الجسر بين الخطابين. وفي المرة الأخيرة اقترح [رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق إيهود] أولمرت على أبو مازن [الرئيس الفلسطيني محمود عباس] جبل الهيكل [أي الحرم القدسي]... أي أن يكون جبل الهيكل تحت سيادة الفلسطينيين وحدهم شريطة أن يعلنوا عن تنازلهم عن حق العودة، وأبو مازن رفض ذلك".

لقد تم طرد قسم من الفلسطينيين، وقسم آخر هرب، لأن القيادة قالت إنهم سوف يعودون. هذه القضية تستدعي إجراء بحث يجب أن يكون نقيا جدا من الأيديولوجيا، مثلما فعل، مثلا، الباحث الإسرائيلي بيني موريس. العرب، في جميع الأماكن، يقولون إنهم أرادوا البقاء، وأنه تم طردهم بالقوة. واليهود يقولون إنه في جميع الأماكن، قالت القيادة العربية لهم إن عليهم أن يغادروا وثم سيعودون كمنتصرين. والحقيقة هي أنه توجد فروق في المناطق المختلفة. ففي حيفا تم بذل جهود من أجل إقناع العرب بالبقاء. وفي أماكن أخرى طردوهم".

(*) أولمرت لم يقترح سيادة فلسطينية على الحرم القدسي . . .

برينكر : "اقترح سيادة فلسطينية حصرية على جبل الهيكل مع حرية الحركة لجميع المؤمنين من جميع الديانات. ورفض أبو مازن ذلك لأن الشرط كان . . . " .

(*) ألم يطرح أولمرت إقامة نظام خاص للمنطقة المسماة بـ "الحوض المقدس" في البلدة القديمة ومحيطها؟

برينكر : "اقترح إقامة نظام خاص في منطقة الصلوات لكنه اقترح أن يكون جبل الهيكل تحت سيادة الدولة الفلسطينية، مع ترتيبات خاصة للديانات الثلاث في الأماكن المقدسة. وأبو مازن رفض ذلك لأنه لم يوافق على التنازل عن حق العودة" .

(*) كيف تنظر إلى قضية اللاجئين الفلسطينيين؟

برينكر : "موقف اليسار الإسرائيلي من هذه القضية هو مثل موقف اليمين الإسرائيلي. يجب حل القسم الأكبر من قضية اللاجئين خارج تخوم إسرائيل. ويجب أن تستوعب إسرائيل من لديه أب أو ابن أو شقيق أو شقيقة أو أم أو ابنة، وهؤلاء موجودون في لبنان أو سورية أو أميركا، فإنه يجب السماح لهم بالدخول إلى إسرائيل. أقصد من لديه أقرباء من الدرجة الأولى، يجب السماح لهم بالدخول إلى إسرائيل في إطار لم شمل العائلات وليس في إطار حق العودة. ولقد تم تنفيذ لم شمل عائلات عربية منذ العام ١٩٤٨ . وبيغن [رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق مناحيم بيغن] ونتنياهو في ولايته الأولى في رئاسة الحكومة لم يوقفا لم الشمل. كذلك فإن [رئيس الحكومة الأسبق أريئيل] شارون لم يوقف ذلك. وهناك حوالي ثلاثين ألف فلسطيني عادوا إلى إسرائيل في إطار لم الشمل. وربما سيكون هناك ثلاثون ألفا آخرون خلال عشر سنوات أو ما شابه. لكن الأغلبية العظمى من اللاجئين، الملايين، سيضطرون إلى العودة إلى الدولة الفلسطينية أو التوطن في الدول التي يتواجدون فيها. وأعتقد أن قسما كبيرا منهم يريد البقاء في الدول التي يعيش فيها. لقد شاركت كممثل عن حركة السلام الآن في اجتماعات مع [رئيس جامعة القدس] سري نسيبة من أجل جمع تبرعات لصالح مشاريع بادر إليها نسيبة. وشاركت في اجتماعات عديدة مع زملاء فلسطينيين. وفي أحد هذه الاجتماعات، التي شارك فيها معنا بروفسور فلسطيني، نسيت اسمه، قلت: تخيل أن يأتي يهودي إلى مقهى في بوخارست أو بودابست ويقول له أغلق المقهى لأنه في هذا المكان كان لوالدي مطبعة أو مطعم. هذا أمر لا يمكن تنفيذه. ويوجد مليون يهودي على الأقل تركوا أملاكا خلفهم في الدول العربية ودول أوروبا الشرقية. بعضهم حصلوا على تعويضات، من تشيكيا وهنغاريا وألمانيا التي دفعت تعويضات جزئية. لكن دولا أخرى مثل رومانيا لم تدفع تعويضات وكذلك روسيا. ورد عليّ البروفسور الفلسطيني قائلا: 'كيف بإمكانك أن تقارن بين الأمرين. الفلسطينيون أرادوا البقاء هنا واليهود طردوهم ونفذوا عملية تطهير عرقي. بينما في أوروبا الشرقية طلبت الوكالة اليهودية من النازيين أن يطردوا اليهود وأن يقتلوهم من أجل أن يذهبوا إلى فلسطين'. وأنا استغربت مما قاله الزميل الفلسطيني ومن عدم علمه بالوقائع التاريخية. على كل حال، فإن المشكلتين الأكبر في الصراع هما وحدة القدس بالنسبة لليهود وحق العودة بالنسبة للعرب. مشكلة المستوطنات بالإمكان حلها. وأنا بالطبع أؤيد تقسيم القدس والتنازل عن حق العودة. ومن دون التنازل في هاتين القضيتين لا أرى أن بالإمكان تحقيق السلام" .

(*) كيف تنظر إلى ترحيل الفلسطينيين في العام ١٩٤٨ ، كونك يساريا وأكاديميا ومثقفا إسرائيليا؟

برينكر : "لقد تم طرد قسم من الفلسطينيين، وقسم آخر هرب، لأن القيادة قالت إنهم سوف يعودون. هذه القضية تستدعي إجراء

بحث يجب أن يكون نقيا جدا من الأيديولوجيا، مثلما فعل، مثلا، الباحث الإسرائيلي بيني موريس. العرب، في جميع الأماكن، يقولون إنهم أرادوا البقاء، وأنه تم طردهم بالقوة. واليهود يقولون إنه في جميع الأماكن، قالت القيادة العربية لهم إن عليهم أن يغادروا وثم سيعودون كمنتصرين. والحقيقة هي أنه توجد فروق في المناطق المختلفة. ففي حيفا تم بذل جهود من أجل إقناع العرب بالبقاء. وفي أماكن أخرى طردوهم".

(*) صحيفة "هآرتس" نشرت تحقيقا، في ٢٧ أيار الفائت، حول احتلال حيفا. وتبين من هذا التحقيق أنه تم تجميع عرب المدينة في ساحة السوق، وبعد ذلك تم قصف الساحة بقذائف الهاون. وقد أدى ذلك إلى مقتل وجرح المئات من العرب. وأدى أيضا إلى حدوث حالة خوف وذعر شديدين بين العرب، الذين اندفعوا نحو أرصفة الميناء للهرب من مجازر اليهود. وأكدت الصحيفة أيضا أن معظم المؤرخين اليهود يحاول تجاهل هذه الواقعة، خصوصا وأن قصف السوق تم في الوقت نفسه الذي كان فيه مندوبون عن العرب واليهود والبريطانيين يتفاوضون على وقف إطلاق النار.

برينكر: "رئيس بلدية حيفا اليهودي، شبتاي ليفي، حاول إقناع العرب بالبقاء".

الاستيطان يمتلك وكلاء أقوياء في السلطة الإسرائيلية

(*) هذا صحيح. لكن هل بالإمكان القول، في هذا السياق وبشكل عام، إن السياسيين الإسرائيليين يتحدثون بلسان جميل ولسان السلام وباعتدال، بينما اليد الإسرائيلية تنفذ أمورا مغايرة وعدوانية؟

برينكر: "هذا صحيح. خلال فترات حكومات حزب الليكود هذا الأمر كان صحيحا بكل تأكيد. وحتى خلال فترات حكومات حزب العمل هذا صحيح بعض الشيء. لأنه، مثلا، خلال ولاية إسحق رابين، الذي أراد السلام فعلا، لم يوقف أعمال البناء [الاستيطاني] في الأماكن التي كان فيها عقود بيع مساكن. وفي فترة اتفاقيات أوسلو لم يبدأ أعمال بناء جديدة، ولكن استمر في البناء في المشاريع التي كان فيها عقود بيع مساكن بين الأفراد والدولة. وقد بنى أربعين ألف مسكن. وسكنها مائة ألف مستوطن. ومن الناحية القانونية بالإمكان فهم هذا الأمر، لأن الأفراد دفعوا للدولة ثمن المساكن أو دفعة على حساب أثمان هذه المساكن. لكن، برأيي، كان يجب تقييد ذلك. لكن الاستيطان يمتلك قوة كبيرة ووكلاء أقوياء في إسرائيل، بحيث أن من يريد وقف هذا المشروع، ورابين أراد وقفه، لا ينجح في وقفه".

(*) كيف تعرّف حكم اليمين في إسرائيل؟

برينكر: "حكم اليمين في إسرائيل يؤمن بأن اليمين نجح في إقناع العالم بأن إسرائيل تسيطر على جميع المناطق، وإذا أعطت الفتات للفلسطينيين فإنها إنما تصنع معروفا لهم بذلك. وهم يعتبرون أن إسرائيل هي النظام الديمقراطي الوحيد في الشرق الأوسط والقوة الوحيدة التي بإمكان أميركا الاعتماد عليها. خطاب اليمين كله مأخوذ من فترة الحرب الباردة بين روسيا وأميركا. وهم لم يغيروا شيئا. وهم لا يرون الشرخ بين أميركا وأوروبا، وأن [الرئيس الأميركي باراك] أوباما أصبح يؤيد حل الدولتين بقوة، لعدة أسباب من أهمها التوصل إلى شراكة مع أوروبا. وليس سياسة خاصة بالولايات المتحدة وإنما سياسة مشتركة مع أوروبا، لأنه يخشى من أن تصبح الولايات المتحدة معزولة. وإذا استخدمت الولايات

عندما يكون هناك شعور بالانفتاح من جانب العالم العربي، مثلما كان عليه الوضع خلال اتفاقيات أوسلو، فإن الأغلبية تؤيد تسوية، وتسوية جيدة للفلسطينيين، وهذه الأغلبية ستزداد بشكل مذهل. فعندما عاد رابين وشمعون بيريس من أوسلو، وقبل بدء عمليات تفجير الحافلات، كان ٦٠ بالمئة إلى ٧٠ بالمئة من اليهود يؤمنون بأنه مع مرور الوقت يجب أن تقوم دولة فلسطينية".

المتحدة الفيتو في أيلول، ضد الدولة الفلسطينية، فإنها ستصبح معزولة سوية مع إسرائيل في العالم كله. ومن أجل الشراكة مع أوروبا كان أوباما على استعداد للمضي بعيدا تجاه الفلسطينيين".

(*) ما هي حال اليسار في إسرائيل؟ هل ما زال موجودا؟

برينكر: "اليسار في إسرائيل موجود. هو موجود في موضوع السلام وهو موجود من الناحية الأيديولوجية. هو موجود في كل مكان. وفي حزب العمل بالذات، هناك أعداد كبيرة من الشبان الذين ينشطون في هذا الحزب الآن. عشرات آلاف الشبان أعضاء في حزب العمل، لأن [رئيس العمل السابق إيهود] باراك انشق عن الحزب، وهؤلاء الشبان يريدون العودة إلى العمل تحت قيادة [رئيسه الأسبق وأحد المرشحين لرئاسة العمل، الآن، عمرام] متسناع وشيلي يحيموفيتش. نعم، لقد انضم ثلاثون ألف شخص للعمل بعد مغادرة باراك. وهؤلاء أعضاء في الحزب ويدفعون ضرائب حزبية. حزب العمل ينهض وهناك استطلاعات تتحدث عن أن الحزب سيفوز بـ ١٧ مقعدا في الكنيست، إذا خاض الانتخابات برئاسة متسناع. واليسار لم يضعف وإنما حركة السلام هي التي ضعفت. الممارسة السياسية اليسارية في الموضوع اليهودي – العربي ضعفت. وهذا حدث بالذات عندما أصبح الجميع متفقا على حل الدولتين. فعندما أصبحت نشطا في حركة السلام، قال البائع في بقالة الحي الذي كنا نسكن فيه لوالدتي: ما هو المبلغ الذي يتلقاه ابنك من منظمة التحرير الفلسطينية؟' إذ إن كل من كان يقول 'دولتان لشعبين' كان يعتبر خائنا. واليوم أصبح الجميع يقول ذلك، لكن اليسار ضعف. وبرأيي أنه يوجد أمر واحد يفسر ذلك وهو أنه عندما يكون هناك انفتاح من جانب العالم العربي تتعزز قوة اليسار في إسرائيل، وعندما يكون هناك شعور بوجود تشدد من الجانب العربي وتتدنى احتمالات السلام فإن اليسار يضعف. وسأعطيك مثالا. قبل شهر واحد من زيارة [الرئيس المصري الأسبق أنور] السادات في إسرائيل، تم نشر استطلاع في إسرائيل حول حجم مؤيدي الدولة الفلسطينية. وقد أيد الدولة الفلسطينية ٢٨ بالمئة من اليهود والعرب في إسرائيل في حينه. وعلى ما يبدو فإن أغلبية المؤيدين كانت عربية. وبعد شهر من زيارة السادات وصلت هذه النسبة إلى ٧٠بالمئة. أي أن ٧٠ بالمئة أيدوا قيام دولة فلسطينية. هذا يعني أنه حدث تحرك كبير للغاية في الرأي العام في أعقاب زيارة السادات وخطابه أمام الكنيست. هذا غيّر مواقف الجمهور الذي كان مستعدا لمحاولة التوصل إلى اتفاق سلام. وأغلبية اليهود ليست عقائدية، لا لناحية السلام ولا لناحية أرض إسرائيل الكبرى. بل براغماتية جدا. إذا أثرت بهم الثقة بأنه سيحل السلام فإنهم سيكونون مستعدين للذهاب بعيدا. وإذا لم يصدقوا أنه سيكون هناك سلام فإنهم سيتمسكون بالتفوق العسكري والإقليمي. لذلك كان ينبغي أن يبدأ كل شيء من السياسة العليا. ليس مهما النشاطات الدعائية التي نقوم بها. هل تعلم كم محاضرة ألقيت في المدارس وفي الجيش منذ العام ١٩٦٧؟ الكثير جدا. وفعل الكثيرون من اليساريين مثلي، وبينهم زئيف شتيرنهيل وأ. ب. يهوشواع وعاموس عوز وجميع الحمائميين. لكن هذا لا يغير الرأي العام. ربما يبدأ قسم قليل بالتفكير خارج الإجماع. لكن عندما يكون هناك شعور بالانفتاح من جانب العالم العربي، مثلما كان عليه الوضع خلال اتفاقيات أوسلو، فإن الأغلبية تؤيد تسوية، وتسوية جيدة للفلسطينيين، وهذه الأغلبية ستزداد بشكل مذهل. فعندما عاد رابين وشمعون بيريس من أوسلو، وقبل بدء عمليات تفجير الحافلات، كان ٦٠ بالمئة إلى ٧٠ بالمئة من اليهود يؤمنون بأنه مع مرور الوقت يجب أن تقوم دولة فلسطينية".

اتفاق أوسلو كان مبنيًا على مرحلتين

(*) لكن، هل كانت هناك حكومة في إسرائيل تتطلع إلى السلام مع العرب عموما والفلسطينيين خصوصا؟ هل كان هناك قرار

إستراتيجي في إسرائيل مرة بأن تقام دولة فلسطينية؟

برينكر : "نعم. حدث ذلك برأيي بعد أوسلو".

(*) أسألك عن نية التوصل إلى اتفاق سلام وليس مجرد عملية سلام ومفاوضات.

برينكر : "نعم. رابين تحدث في حينه عن 'كيان فلسطيني'. لم يذكر كلمة 'دولة'، هذا صحيح. وفسر تعبير 'كيان فلسطيني' بأنه أكثر من حكم ذاتي وأقل من دولة. رابين اعتبر الانتفاضة [الأولى]، في البداية، أنها أعمال شغب فلسطينية وأمر بقمعها، وبعد ذلك أدرك أنها هبة شعبية. وقد كتب أن هذا 'تمرد شعبي' ولا يمكن حله بوسائل عسكرية. وعندها حاول حل الأمر من خلال اتصالات مع قياديين فلسطينيين محليين. وقد التقى ثلاث مرات مع فيصل الحسيني، الذي قال لرابين إنه ليس مستعدا للتفاوض معه من دون تنسيق مع [قيادة منظمة التحرير في] تونس. وعندها، في المرحلة الثالثة، وافق رابين على أن يتم التنسيق مع تونس وأن تعترف إسرائيل بمنظمة التحرير وأن تعترف منظمة التحرير بإسرائيل. ومن هنا تم تمهيد الطريق، من الناحية الأيديولوجية على الأقل، لاعتراف إسرائيل بشرعية المطلب الفلسطيني بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الحقيقي للشعب الفلسطيني. والفلسطينيون اعترفوا بشرعية وجود دولة إسرائيل وأن حكومة إسرائيل المنتخبة هي الجهة التي ستجري مفاوضات معها. هنا تم التوصل إلى الإطار، لكن من الجانب الإسرائيلي تم تخطيط أوسلو لمرحلتين. وربما هذا هو الخطأ. لأن رابين آمل بولايتين في رئاسة الحكومة. في الولاية الأولى يتوصل الجانبان إلى ثقة متبادلة، ويتوصلان إلى ترتيبات ميدانية، مثل التعاون الأمني وأمور اقتصادية. وفي الولاية الثانية يبلع الجانبان الضفادع التي ينبغي بلعها من أجل التوصل إلى اتفاق. لكن رابين لم يحصل على فرصة الولاية الثانية، لأنهم قتلوه. كل اتفاق أوسلو مبني على ولايتين لرابين وعلى محادثات وثقة متبادلة بينه وبين [الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر] عرفات. فالعامل الشخصي كان مهما جدا هناك، وأن يتوصلا إلى تفاهمات، وبعد ذلك يقنعان شعبيهما بالتسوية. هكذا كان أوسلو. لكن هذا لم ينجح. وقسم من المراقبين يقول: إنه لم تكن هناك خطة تتعلق بالنهاية، وأنه من أجل صنع سلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين يجب المعرفة مسبقا أين تنتهي الأمور. وهذا لم يرده رابين لأنه لم يؤمن بأنه سيتمكن من إقناع الرأي العام في إسرائيل إذا تحدث

الاحتلال الإسرائيلي: ممارسات مهينة لم توقفها الاتفاقات.

مباشرة عن الدولة الفلسطينية. ولهذا السبب هو تحدث عن 'كيان فلسطيني'. وتم التوصل إلى اتفاق، يكاد يكون مثل اتفاق بين سارقي خيول، لأن كل جانب لم ينفذ ما تعهد به في الاتفاق، لأنه كان شفهيا. لم يكن الاتفاق خطيا ولم تكن هناك ضمانات دولية. رابين تعهد بألا يكون هناك المزيد من المستوطنات وعرفات تعهد بألا يستمر الإرهاب. وهذا لم ينفذ. وعدد أفراد الشرطة الفلسطينية أصبح ٤٥ ألفا بدلا من ٢٠ ألفا. واستمر بناء المستوطنات. أي أن الجانبين لم ينفذا التفاهمات الشفهية وإنما نفذا الاتفاقيات الخطية فقط. ولم يكن هناك شاهد على التفاهمات الشفهية. والسياسة الإسرائيلية التقليدية قالت: إن كل المفاوضات يجب أن تكون ثنائية، ولا حاجة للأميركيين والفرنسيين وغيرهم. لكن من أجل تعزيز هذا الاتفاق كان يجب إدخال جهة ثالثة لديها قوة وصلاحية لمراقبة الاتفاق ومنع الخروقات. وعندما رأى الفلسطينيون أن إسرائيل مستمرة في أعمال البناء الاستيطاني بدأ تفجير الحافلات. والإسرائيليون رأوا أن الإرهاب لم يتوقف، فأوصلوا نتنياهو إلى الحكم [في ولايته الأولى] بدلا من بيريس. وتم تدمير أوسلو. لكن أوسلو كان أملا كبيرا للغاية".

(*) كيف تفسر مطالبة نتنياهو الفلسطينيين بالاعتراف بالدولة اليهودية؟ لماذا فجأة الآن يطرح هذا المطلب؟

برينكر : "هذه ذريعة يريد أن يقول من خلالها إنه لا يوجد حق عودة. هذا يعني أن على الفلسطينيين الاعتراف بأن إسرائيل هي البيت القومي للإسرائيليين ولذلك يجب أن تكون فيها أغلبية يهودية دائما، ولذلك لا يمكن مطالبة هذه الدولة باستيعاب ملايين الفلسطينيين. أنا أقول إنه بالإمكان تجاوز ذلك بسهولة: إذا كنت تريد الحديث مع الفلسطينيين عليك أن تمرر قانونا في الكنيست لتغيير اسم الدولة، بدلا من 'إسرائيل' يصبح اسمها 'الدولة اليهودية الإسرائيلية'. وعندها، فإن كل من يعترف بإسرائيل يعترف عمليا

بأنها دولة اليهود" .

(*) وماذا يعني هذا التعريف بالنسبة لنا كأقلية عربية؟

برينكر: "أنه يجب أن تتمتع بمساواة في الحقوق الفردية مثل أي يهودي، لكن من الناحية الجماعية فإنه يوجد قيود على تطوير الثقافة. بإمكانك أن تنمي ثقافتك لكن عليك أن تعترف بأن إسرائيل هي دولة سوف تستوعب كل اليهود الذين يصلونها. هذا هو 'قانون العودة'. والتقدير هو أن معسكر السلام الذي لا يؤيد نتنياهو فيما يتعلق بمطلب الاعتراف بالدولة اليهودية، يعتقد أن هذا المطلب لا جدوى له، ويجب أن يأتي في نهاية التسوية وليس في بدايتها، وليس كشرط مسبق. لكن بالإمكان القول في نهاية عملية السلام إن الدولة الفلسطينية تمنح أفضلية لدخول الفلسطينيين إليها. وهذا يعني منح المساعدة بالسكن وخدمات أخرى للفلسطينيين الذين يأتون إلى الدولة الفلسطينية، مثلما تفعل إسرائيل مع [المهاجرين] اليهود. وسيكون هنا عمليا دولتان قوميتان. وبالنسبة للعرب في إسرائيل فإنهم سيتمتعون بحقوق فردية وليس جماعية. سيتمتعون بحقوق ثقافية. دعنا نقول مثل الحقوق التي يحصل عليها اليهودي في دولة عربية، مثل مصر أو المغرب. فاليهود في المغرب حصلوا على مساواة في الحقوق وكان لهم دور مهم في الاقتصاد المغربي، وحتى في الحياة السياسية المغربية" .

لم يمت جميع الليبراليين والديمقراطيين في إسرائيل !

(*) شهدنا خلال العامين الأخيرين طرح عدد كبير من القوانين العنصرية المعادية للعرب في الكنيست. كيف تنظر إلى هذه القوانين؟

برينكر: "هذه قوانين عنصرية فعلا. وأنا لا أرى سببا لسنها سوى سعي [رئيس حزب "إسرائيل بيتنا" ووزير الخارجية أفيغدور] ليبرمان لتحقيق مكاسب سياسية حزبية. هو يسعى للحصول على تأييد الجمهور العنصري. فالعنصرية هنا لا تبدأ من أعلى، وإنما، لأسفي، من أسفل، أي من الشعب. والزعماء الذين يسيرون في هذا الاتجاه العنصري، يفعلون ذلك من أجل زيادة التأييد لهم لدى الشعب" .

(*) شارك في طرح هذه القوانين حزبا الليكود وكاديما أيضا.

برينكر: "بالتأكيد. لا شك في ذلك. أعتقد أن دافيد بن غوريون أو رابين كانا سيخجلان من هذه القوانين. لكن بعض هذه القوانين يتم كبحه. انتبه، بعض هذه القوانين لا يمر في الكنيست، ويتم وضعه جانبا لأنه يلحق ضررا بإسرائيل في الحلبة الدولية وأيضا لدى يهود الولايات المتحدة الذين يعتبرون ليبراليين وديمقراطيين. وفي إسرائيل أيضا لم يمت جميع الليبراليين والديمقراطيين. وما زلنا على قيد الحياة" .

(*) لكن الاعتقاد السائد هو أن التعايش اليهودي – العربي انتهى حاليا؟

برينكر: "يوجد تعايش في الأمور الحياتية. ففي المستشفيات، مثلا، أنت ترى أطباء عربا وروسا وبنات يهوديات متدينات يؤدّين الخدمة الوطنية. وهناك مستشفيات في البلاد تسمع فيها أكثر شيء اللغتين العربية والروسية، وبينها مستشفى هداسا في القدس. وهناك تعاون كامل فيما بينهم. في الحياة اليومية يوجد أسس تعايش، لكن طالما أن السياسة العامة لا تحل المشاكل الصعبة. . . فالعربي يتمزق دائما بين مصالحه الفردية وانتمائه للشعب العربي والشعب الفلسطيني" .

(*) الوضع الحالي في إسرائيل وسيطرة اليمين على الحكم أثّر أيضا على الأكاديميا. فهناك هجمة يمينية تقودها حركة "إم ترتسو" ضد المحاضرين الجامعيين النقديين. . .

برينكر: "هذا أمر هامشي. وهذه الهجمة لم تنجح. فهم لن ينجحوا في إرغام الجامعات على فصل أي محاضر بسبب مواقفه السياسية ولا حتى في الحالة الأكثر تطرفا. والحالة الأكثر تطرفا تتعلق بمحاضر كان تلميذي، ويدعى نيف غوردون، الذي يدعو إلى مقاطعة بضائع إسرائيلية ويشارك في مؤتمرات دولية يدعو فيها إلى مقاطعة إسرائيل [يشار إلى أن البروفسور غوردون، أستاذ العلوم السياسية في جامعة بن غوريون في بئر السبع، دعا إلى مقاطعة بضائع المستوطنات كخطوة في سياق مناهضة الاحتلال]. وحتى في حالته لم ينجحوا في فصله من العمل. وفي السابق كان هناك أستاذ الكيمياء من الجامعة العبرية في القدس، البروفسور المرحوم يسرائيل شاحاك، الذي دعا إلى عدم التوقيع على اتفاقيات مع إسرائيل لأنها لن تحترمها. وبقي في الجامعة" .

(*) هل يوجد في إسرائيل كوابح تمنع اليمين من تنفيذ كل ما يريده؟

برينكر: "إلى حد معين نعم. الكنيست سن قانون لجان القبول

[الذي يمنع العرب من السكن في البلدات الجماهيرية اليهودية الصغيرة]، وفي المقابل فإنه لم يتم سن قانون سحب الجنسية. والسبب هو وجود أشخاص في اليمين وفي حزب الليكود، مثل دان مريدور ورؤوبين ريفلين وميخائيل إيتان، الذين ما زالوا ديمقراطيين. ومنعوا سن قانون مثل قانون سحب الجنسية وقوانين أخرى. وقد تم كبح سن هذه القوانين حتى الآن، لكن لا يمكن أن نعرف ماذا سيحدث في المستقبل".

(*) ما الذي يريد اليمين الإسرائيلي تحقيقه؟

برينكر: "الآن هو يريد إبقاء الوضع القائم- ستاتوس كفو-. هم يقولون: 'لا يوجد في الجانب الفلسطيني من يمكن التحدث معه. هم يطالبوننا بتنازلات لا يمكننا تنفيذها. ولن يكتفوا بما نعطيه لهم وهم دائما يريدون المزيد. [رئيس حكومة إسرائيل السابق إيهود] أولمرت وباراك أعطياهما كل شيء تقريبا ولم يوافقوا'".

(*) لكن في هذه الأثناء إسرائيل تستولي على مزيد من الأراضي في الضفة الغربية والقدس الشرقية وتوسع المستوطنات.

برينكر: "هذا صحيح. هذا ستاتوس كفو [وضع قائم] مريح لليهود".

(*) هذا يبدو أنه "مريح لليهود"...

برينكر: "في النهاية سينفجر الوضع. أنا متأكد من أن هذا سيحدث. وتحت ستار أنه لا يوجد أحد يمكن التحدث معه هم يضعون حقائق على أرض الواقع وهم يخططون للسيطرة على الأرض كلها في نهاية المطاف".

(*) هذا الوضع يجعلنا، نحن الفلسطينيين، نقول: حسنا، في النهاية ستقوم هنا دولة ثنائية القومية.

برينكر: "شخص مثلك ومثلي، واليسار الإسرائيلي كله، سيقول: محاولة إقامة الدولتين فشلت، والآن سنحارب على حقوق مدنية كاملة ومتساوية لليهود والفلسطينيين. وسيكون بإمكان الفلسطينيين التصويت لأحزابهم. وأعتقد أنه يوجد إمكانيتان: الإمكانية الأولى أن تصبح إسرائيل دولة مثل جنوب إفريقيا بمعنى أنه يوجد شعبان لكن اليهود لن يعترفوا بالشعب الآخر وأن تسيطر إسرائيل بالقوة العسكرية على شعب بأكمله يتزايد باستمرار وربما سيصبح عدده أكبر من اليهود. والإمكانية الثانية أن تصبح إسرائيل دولة ثنائية القومية مع مساواة في الحقوق. واليسار سيختار الإمكانية الثانية".

(*) هل تعتقد أن إسرائيل ستنفذ عمليات ترانسفير أخرى؟

برينكر: "فقط في حالة نشوب حرب شاملة. لن يتم تنفيذ ترانسفير في غير حالة حرب شاملة. لكني لا أعتقد أنه ستنشب حرب شاملة، لأن العرب أكثر حكمة اليوم، وهم يعرفون أنهم لن يحصلوا على أكثر مما يمكن أن يحصلوا عليه من خلال المفاوضات، وإسرائيل لديها التفوق التكنولوجي والقنبلة [النووية]. لا أعتقد أنه ستنشب حرب شاملة، لكن ستكون هناك أعمال إرهابية وستندلع انتفاضة وهبة غير عنيفة. وصعب على إسرائيل أن تتدبر أمرها مع مقاومة غير عنيفة، أي شعبية وغير مسلحة. وإذا ما بادر الفلسطينيون إلى مقاومة غير عنيفة فإن هذا لن يقود إلى ترانسفير، بل سيؤدي إلى إثارة الرأي العام العالمي ضد إسرائيل وممارسة ضغوط من أجل صنع السلام. وبرأيي فإن الرأي العام العالمي لن يمارس ضغوطا من أجل صنع السلام على إسرائيل فقط وإنما على الفلسطينيين أيضا. وأعتقد أن هذا ما رآه أبو مازن [الرئيس الفلسطيني محمود عباس] عندما قرر تدويل الصراع".

(*) ما هي الخواطر التي راودتك عندما شاهدت لاجئين فلسطينيين يتخطون الحدود في هضبة الجولان؟

برينكر: "يجب ألا نبالغ في هذا المشهد. هذه كانت خطوة رمزية، وهؤلاء الأشخاص عبروا عن أنفسهم. لكنها خطوة لا تغير حقائق سياسية. ربما ستتكرر هذه المشاهد في المستقبل. لكن برأيي أن هذا أقل خطرا بالنسبة لإسرائيل من اندلاع انتفاضة سلمية في الضفة الغربية مثل الانتفاضة الأولى. وأعتقد أن انتفاضة غير عنيفة ستخدم مصلحة الفلسطينيين وستبقي قضيتهم حية، فيما اليمين الإسرائيلي يريد إدخالها في سبات والمماطلة في تسويتها. هذا في المرحلة الأولى، وفي المرحلة الثانية سيتعين عليهم تقديم تنازلات فيما يتعلق بحق العودة، لكني لست واثقا من أنه بإمكانهم القيام بذلك. ولو كنت باراك أوباما لطالبت إسرائيل بتقسيم القدس وطالبت الفلسطينيين بالإعلان أن حق العودة لا يسري على إسرائيل. هاتان هما القضيتان الأساسيتان لحل الصراع. المستوطنات هي قضية ثانوية. جميع القضايا تعتبر ثانوية باستثناء هاتين القضيتين".